حفريات

حوارات

مراجعات الإخوان تفتقد لمنهج نقدي حقيقي

أحد قادة مراجعات الإخوان في السجون: هكذا غيرت الزنزانة أفكاري

حاوره: صلاح الدين حسن
كاتب مصري

استعصت جماعة الإخوان المسلمين، على إجراء مراجعات ذاتية لأفكارها منذ نشأتها، رغم تعرضها لنكبات قصمت ظهر التنظيم وكشفت أوراقه، لكنها لم تعترف يوماً بخطأ ارتكبته؛ بل قامت بتغطية هذه الأخطاء التي وصلت حد القتل، بحزمة من التبريرات، التي طالما أقنعت غالبية أنصارها.

وبرعت الجماعة في صك الشعارات الزائفة، التي تحولت بمرور الزمن، إلى قوة مستلبة لعقول عناصرها، فبات السجن أحق بمن فيه من مسجوني الجماعة.

يتحدث في هذا الحوار لـ«حفريات» عماد علي، أحد كوادر الإخوان الذي رفع لواء «المراجعة والتصحيح» داخل السجون المصرية، باسطاً تجربته في كسر أغلال الشعارات التي حالت بينه وبين عمليات التفكير والتدبر، وتشريح التركيب العقلي والوجداني لقادة الجماعة، الذين يصارعون لوأد صيحات التساؤل والرغبة في فهم أسباب ما جرى، مستخدمين في ذلك أساليب لتشويه من يحاول فتح باب النقد الذاتي.

وفيما يلي نص الحوار:

صكت الجماعة شعار «عمر السجن ما غير فكرة»، وتحول الشعار مع الوقت لقوة قاهرة لنفوس الكثير من شبابها، لكن متى بدأت فكرة تصدّيك لهذا الشعار، وكيف بدأت فكرة المراجعة؟

عدم القدرة على التفرقة بين الثوابت والمتغيرات، يحدث خللاً لدى البعض في فهم هذا الشعار؛ فالثوابت لا تتغير، أما المتغيرات، فهي بطبيعتها خاضعة لعوامل الزمان والمكان، وتختلف باختلافهما وترتبط بتغير الظروف والوقائع المحيطة، وترسيخ هذا المعنى عند الإخوان المسلمين يأتي نتيجة لعدة أسباب؛ السبب الأهم منها هو اعتقاد الإخوان أنّهم يمثلون الإسلام وأنّ فهمهم للدين هو الفهم الصحيح، وأنّهم هم الحق المطلق، وكل ما عداه باطل، ولا يرون أنّهم مجرد أناس لهم رؤية وفهم معين للدين قد يصيب وقد يخطئ، وهذه القناعة رسخها حسن البنّا منذ البداية في عقول وقلوب الإخوان وتربوا عليها وأصبحت عندهم حقيقة مطلقة.

وكان البنّا قال العام ١٩٤٥ في مؤتمر رؤساء المناطق: «نحن الإسلام أيّها الناس، فمن فهمه على وجهه الصحيح فقد عرفنا كما يعرف نفسه». ومما يترتب كذلك على ترسيخ هذه القناعة -أنّ الإخوان يمثلون الحق المطلق- هو غلق كل باب دون التفكير والمراجعة والنقد الذاتي؛ لأنه هنا تختفي المساحة الفاصلة بين الدين وبين التنظيم ويحدث خلط عجيب يؤدي إلى رفض الاعتراف بالخطأ؛ لأنه بذلك يمثل اعترافاً بقصور في الدين

يصنف البنّا الناس تجاه الإخوان إلى أربعة أصناف: مؤمن بالفكرة، متردّد، نفعي، متحامل، وكأنّ الإخوان هم محور الكون

ذاته، وهذا لا يمكن الاعتراف به. وبالتالي يرى الإخوان أنّ تغيير الأفكار أمر مرفوض ويمثل تنازلًا وهذا سبب الاعتقاد بأنّ «عمر السجن ما غير فكرة» شعار لا يمكن التنازل عنه.

بداية التغيير عندنا – كفريق أجرى مراجعات – كانت عندما نزعنا من عقولنا الهالة القدسية التي يحيط الإخوان بها فكرتهم، وبدأنا نرى أنّ هذه الفكرة لا تمثل الحقيقة المطلقة؛ بل يجب أن يجري عليها من التغيير الكثير؛ لأن التجربة أثبتت فشلها وعدم واقعيتها، كما طرأت

متى كانت نقطة الصفر لانطلاق قطار المراجعات؟

> **خطاب الإخوان يقوم على فكرة المظلومية وأنّهم الجماعة التي تدافع عن الدين ضد كل من يحارب الإسلام**

متغيرات كثيرة بعد «البنّا»، وظهرت أفكار أخرى مخالفة لأفكاره، جديرة بالنظر والدراسة، وبالتالي رأينا أنّه لا بد للإخوان من إجراء مراجعات شاملة وحقيقية لا تقف عند حدود الممارسات السياسية فحسب؛ بل تتعدى ذلك إلى الوصول للأفكار الرئيسية التي تقوم عليها الجماعة، وأن تتناول مشروع الإخوان الأساسي الذي وضعه البنّا.

وعندما وجدنا أنّ الإخوان جماعةٌ لا تعترف بخطأ، ولا ترى مبرراً للمراجعة؛ بل وتراها تفريطاً وتنازلاً، وترفض في الباطن فكرة المراجعات، وتسد الطريق أمام أي محاولات فردية لذلك حتى لا ينتهي الأمر باتهام القيادات التي كانت تدير المشهد ومساءلتها باعتبارها سبباً رئيسياً لما وصلت إليه الجماعة من مصير؛ فقد اتخذنا قرارنا بالاستقلال عن الجماعة، والخروج النهائي منها وإجراء هذه المراجعات بشكل فردي بعيداً عن هيمنة التنظيم واستبداده.

ترهّب الجماعة أعضاءها بمقولات مثل «المتساقطون على طريق الدعوة»، و «المفتونون»، تُطلقها في مواجهة من يطالب بتغيير الأفكار وإصلاح الجماعة، أو من يقرر التخلي عن أفكارها، كيف واجهت كل ذلك؟

الجماعة ترى نفسها -كما ذكرت آنفا- الممثل الحصري للإسلام، حتى أنّها تصف نفسها بالجماعة واجبة الاتباع، وذلك في إطار عملها التنظيمي حين تقنع «أفراد الصف» في المرحلة السابقة على الانضمام رسمياً للإخوان وإعطاء البيعة، وذلك في محاضرات تعطى لهؤلاء الأفراد تحت عنوان «الجماعات العاملة على الساحة وصفات الجماعة واجبة الاتباع»؛ حيث يتم استعراض الجماعات الإسلامية الموجودة مثل؛ السلفيين والجماعة الإسلامية، والإخوان وغيرها، وأهداف هذه الجماعات وأفكارها ووسائلها لبلوغ تلك الأهداف.

كما يتطرقون إلى الشروط الواجب توافرها في الجماعة التي يجب أن ينضم إليها الفرد ليعمل من خلالها لنصرة الدين -وكأن الانضمام فرض- ثم يتم إقناع الأفراد بأنّ كل هذه الشروط تتوافر في جماعة الإخوان وبالتالي فهي «واجبة» الاتباع، وكان البنّا قال ذلك في رسالة المؤتمر الخامس: «إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده، ولست مخالفاً هذه

> **الخلط بين الجماعة والدين، وإظهار الخروج على الجماعة على أنه كفر، عطل المراجعات وأخاف من يقدم عليها**

الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنّها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقاً طويلة، ولكن ليس هناك غيرها»

الجماعة تعتبر أن النص يتنزل عليها دون غيرها، هل هذا ما تعنيه؟

نعم، هذه قناعة مترسخة داخل العقل الإخواني؛ حيث يتم اعتبار الجماعة أنّها هي والدين واحد، لا فرق بينهما، وبالتالي يتم إنزال النصوص الدينية على الجماعة كأنّها هي المخاطبة بها وحدها دون باقي الأمة، ومن ضمن النتائج المترتبة على هذا، تطبيق فكرة الولاء والبراء على الجماعة واعتبار أنّ أعداء الجماعة هم أعداء للإسلام ومن يحارب الجماعة فهو يحارب الإسلام.

وفي رسالة «دعوتنا»، يصنف البنّا الناس تجاه الإخوان إلى أربعة أصناف: مؤمن بالفكرة، متردّد، نفعي، متحامل، وكأنّ الإخوان هم محور الكون الذي تدور حوله الناس ويصنفون حسب موقفهم من الإخوان، وبالتالي، يتم استخدام مصطلحات مثل «متساقط »، وبسقوط كل هذه التابوهات لدينا أصبحنا لا نرى في تغيير الأفكار ونقلها بشكل علني والخروج

> **حال الإخوان في السجن مثير للشفقة أناس لا حول لهم ولا قوة يظنون أنّهم أفضل من أنجبت مصر ولكن الواقع لا يؤيد ذلك مطلقاً**

مـن الإخـوان أي حـرج أو مشـكلة، فالإخـوان لا تعـدو أن تكـون مجـرد وسـيلة وليسـت هدفـاً في حـد ذاتهـا، فليتفـق معهـا مـن يتفـق، وليختلـف مـن يختلـف، كل حسـب قناعاتـه .

هنـاك مـن يقـول إنّ الزنزانـة تحـول المنتمـي لجماعـة مـا، إلى شـخص أكـثر تطرفـاً، مسـتندين في ذلـك لفقـه المظلوميـة، حـتى أنّ هنـاك مـن تحـول إلى التكفـير الـكلي والشـامل، لكنـك ذهبـتَ في اتجـاه المراجعـة، فماذا فعلـت بـك الزنزانـة؟

العوامـل الخارجيـة الـتي تؤثـر في الإنسـان تختلف حسـب درجة اسـتعداده مـن الداخـل، فقـد يـأكل اثنـان نفـس الطعـام غـير النظيـف، فيمـرض واحـد بينمـا لا يتأثـر الآخـر، وقـد يتعـرض شـخصان لتيـار مـن الهـواء فيصـاب أحدهمـا بالأنفلونـزا ولا يصـاب الآخـر، وهكـذا. والسـجن لا شـك بيئـة غـير صحيـة فيـه مـن الآفـات الـتي تصيـب الإنسـان الكثـير، بحسـب طبيعـة الشـخص وقناعاتـه الراسـخة وثقافتـه وطريقـة نظرتـه للأمـور، ونفسـه الـتي تميـل للخـير أو الـشر؛ يكـون شـكل تأثـره مـن السـجن.

أيضاً، مما يؤثر في هذه النتيجة، هو الخطاب الذي يسمعه الشخص في السجن، فخطاب الإخوان مثلاً، يقوم على فكرة المظلومية، وأنّهم الجماعة التي تدافع عن الدين ضد كل من يحارب الإسلام، فكل ما يتعرضون له هو ظلم نتيجة مبادئهم وأهدافهم النقية التي لا يشوبها خطأ ولا عيب؛ كيف وهي مبادئ الإسلام!!

وبالتالي، لا مجال لمراجعة ولا إصلاح الأخطاء، ومن ثم يتولد شعور لدى البعض بالرغبة في الانتقام، ونتيجة للقناعات السابقة يفسر الصراع على أنّه صراع بين الحق والباطل وأنّه صراع ديني وليس سياسياً، فتستدعى كل النصوص المتعلقة بالجهاد ضد أعداء الإسلام وما يترتب على ذلك من أفكار توضع في غير موضعها، ومن هنا تولد الأفكار المتشددة التي تصل أحياناً للتكفير ومحاربة من يصفونه بهذه الأوصاف من وجهة نظرهم.

وهناك من يرى أنّ هنالك أخطاء لديه، وأفكاراً تحتاج لتغيير، ويقوم بذلك التغيير بالفعل؛ فتتولد لديه رغبة في الإصلاح بنفس لا تحمل ضغينة ولا ترغب في الانتقام.

برأيك، لماذا تحول الجماعة فشلها إلى محنة ربانية، ولماذا يستهوي هذا الخطاب القاعدة العامة للتنظيم؟

هذا نتيجة لما ذكرته حول التصور الذهني للجماعة عن نفسها، أيضا

يعد هذا حيلة نفسية تلجأ إليها الجماعة لتبرير فشلها وعجزها عن الخروج من أزمتها، وللتحلل من المسؤولية تجاه أعضائها، ولتخدير عقولهم حتى لا يفكروا أو يسألوا، وهذه الطريقة، تريح الكثير من أعضاء الجماعة؛ لأنها تعفيهم من الإحساس بالذنب، فما أسهل أن أتهم غيري وألقي بكل مسؤولية عن عاتقي، ولكن هذا لا يغير من الواقع في شيء.

هل ترى أنّ جماعة الإخوان تورطت في العنف المسلح ضد الدولة؟ ولماذا تحولت بهذه السرعة، من تنظيم يعتمد على آلية متدرجة للوصول للسلطة إلى تنظيم يقترب من التنظيمات الجهادية المتشددة؟

ما حدث بعد فض اعتصام رابعة، هو رد فعل يتسم بالعنف من الإخوان، تمثل في الهجوم والاعتداء على بعض المؤسسات الشرطية وغيرها، وبعض الكنائس، ثم تم التراجع عن هذا الخط مما أحدث انقساماً بين

الإخـوان، أدى في النهايـة إلى وجـود جماعتـين؛ جبهـة «محمـود عـزت» وجبهـة «محمـد كمـال»، الأولى تـرى أنّ مواجهـة النظـام تكـون بشـكل سـلمي، والثانيـة تـرى أنّ المواجهـة يجـب أن تكـون مسـلحة.

مـا الـذي أحـدث هـذا الارتبـاك بانتهـاج العنـف أولاً ثـم قـرار التراجع، ثـم الانقسـام حـول الطريقـة المثـلى للمواجهـة، وكل فريـق يدعـي أنّـه هـو الـذي يمثـل منهـج الإخـوان الأصيل؟

مـن وجهـة نظـري، يرجـع ذلـك لسـببين الأول: حالـة التخبـط الـتي أصابت الإخـوان نتيجـة اتخـاذ القـرارات بشـكل غـير مـدروس وعـدم تمتـع قياداتهـا بالكفـاءة المطلوبـة لإدارة المشـهد السـياسي، والثـاني وهـو الأهـم: أنّ بـذرة العنـف موجـودة في عقـل الإخـوان الباطـن، وتجـد مصدرهـا عنـد المؤسسـين: البنـا، وسـيد قطـب.

فالبنـا، وفيمـا يتعلـق بنظريـة التغيـير الـتي وضعهـا «أصابـه التناقـض»؛ ويظهـر ذلـك في أنّـه تـارة يتحـدث عـن تغيـير سـلمي متـدرج يبـدأ بإعـداد الفـرد المسـلم ثـم الأسرة ثـم المجتمـع ثـم الحكومـة....، وصـولاً إلى الخلافـة وأسـتاذية العالـم، ثـم يتحـدث في مواضـع أخـرى حـول اسـتخدام القـوة في التغيـير؛ فنجـده يقـول في رسـالة المؤتمـر الخامـس: «يتسـاءل كثـيرٌ مـن النـاس: هـل في عـزم الإخـوان أن يسـتخدموا القـوة في تحقيـق أغراضهـم والوصـول إلى غايتهـم؟»

وفي موضع آخر يقول: «الإخوان المسلمون سيستخدمون القوة العملية؛ حيث لا يجدي غيرها ... وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً...»، ثم في موضع آخر»إن أول درجة من درجات القوة: قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح».

وبالنسبة لسيد قطب، فلقد كان أكثر وضوحاً وتبنياً للأفكار المتشددة في إطار نظرية الحاكمية التي تحدث عنها، ووصفه للمجتمع بالجاهلية، والحديث عن العصبة المؤمنة والعزلة الشعورية وفكرة التمكين وغيرها، وحينما نعرف أنّ كتاب «في ظلال القرآن»، الذي يحمل غالبية هذه الأفكار، يُدرس بشكل رسمي في الأسر الإخوانية؛ ندرك حينها كيف تترسخ هذه الأفكار في عقل الإخوان الباطن بما يؤثر بعد ذلك بشكل ما.

لماذا تأبى الجماعة حتى الآن إجراء مراجعة عملية لأفكارها، وكيف ومتى يمكنها القيام بذلك؟

لا أظن أنّ الجماعة تجري مراجعاتها بشكل مؤسسي، ولكن، قد تحدث مراجعات فردية تؤدي إلى انشقاقات في جسم الجماعة.

ما نسبة الإخوان في تقديرك، الذين تقبلوا فكرة المراجعات، وهل هناك من يوافق عليها لكنه يخشى الإفصاح عن ذلك؟

السجن ضم أعضاء في الإخوان، وهناك آخرون، كانوا متعاطفين ومؤيدين للإخوان، ولكن لا ينتمون تنظيمياً لهم، وتوجد نسبة معتبرة اتخذت قرارها بشكل واضح بترك الإخوان، وأعرف كثيراً من الإخوان لايزالون أعضاء بالجماعة ويقرون بوجود أخطاء ولا يعجبهم الوضع الحالي، وينتقدون القيادات في عدم وجود رؤية لديهم ويرون عدم جدوى الاستمرار في الصراع القائم.

كما يجدون أنّه من الضروري الوصول لتسوية بشكل من الأشكال، ولكن، ونتيجة للأفكار الراسخة بداخل العقل الإخواني من أنّ الإخوان هم الحق المطلق وأنّ طريقهم هو الطريق الوحيد الذي يجب السير فيه؛ فإنّهم يرون الخروج منه أمراً غير وارد.

ولأنهم تربوا على معاني الطاعة والثقة، فإنهم رغم اقتناعهم بفكرة المراجعات والتسوية للصراع، لايزالون ينتظرون قرار الجماعة، ولا توجد لديهم الجرأة لاتخاذ قرار بالانفصال، والبعض منهم يريد الإفصاح عن

اقتناعـه بتلـك المراجعـات ولكنـه يخـشى رد فعـل الإخـوان في السـجن حـتى لا يصيبـه مـا لا يمكنـه تحملـه، لدرجـة أنّ هنـاك مـن طلـب مـني شـخصياً أن أدرج اسـمه في قائمـة الأشـخاص الذيـن انضمـوا للمراجعـات، ولكـن دون أن يـدري أحـد!!

وأظـن أنّ كثيريـن ينتظـرون رد فعـل الدولـة في التجـاوب مـع المراجعـات بشـكل إيجـابي؛ لأنهـم يخافـون الخـروج مـن الإخـوان، وتحمـل تبعـات ذلـك في سـبيل شيء مجهـول، ولـو حـدث هـذا، سـيرى الجميـع حجـم الانشـقاقات الـتي سـتحدث داخـل الإخـوان.

لا أحـد يعـرف مـاذا يجـري بـين الإخـوان داخـل السـجن، هـلا حدثتنـا عـن أهـم المواقـف الـتي شـاهدتها داخـل السـجن، وهـل تعرضـت لمضايقـات مـن إخـوان متشـددين بسـبب مراجعـات لأفكارهـم ؟

حـال الإخـوان في السـجن مثـير للشـفقة؛ أنـاس لا حـول لهـم ولا قـوة، يظنـون أنّهـم أفضـل مـن أنجبـت مـصر كمـا يقولـون، ولكـن الواقـع لا يؤيـد ذلـك مطلقـاً، قيـادات غـير ناضجـة تتمتـع بسـطحية في التفكـير، تدلـس عـلى أفرادهـا بخطـاب ديـني عاطفـي، ليـس لديهـا مـا تقنـع بـه النـاس، وفي الوقـت نفسـه، تفعـل كل شيء للحيلولـة دون أن ينفـض النـاس مـن حولهـا، مسـتبدة لا تريـد صوتهـا ورأيهـا فقـط، يحجـرون عـلى آراء مخالفيهـم، ويحاربونهـم بشـتى الطـرق، عقولهـم حائـرة لا يملكـون زمـام أمورهـم، تـارة يـرون وجـود

أخطاء يجب إصلاحها، وتارة يخدرهم كلام قياداتهم فيسكنهم قليلاً، ثم ترجع الأسئلة لتتراقص أمام عقولهم، ولكنهم لم يعتادوا على الاستقلال بقرارهم، فيهربون من كل ذلك باللعب وقراءة الكتب الدينية وحفظ القرآن والأكل والنوم حتى يمر الوقت.

وبالطبع، تعرضنا لمضايقات كثيرة، كان صعباً على النفس تحملها، خاصة في مكان مغلق مثل السجن، الناس تجلس مع بعضها في مكان ضيق لمدة ٢٤ ساعة وبينهم عداء بسبب الشحن الذي يقوم به الإخوان تجاهنا، واتهامنا بالخيانة والتفريط والتنازل عن المبادئ والنفاق، فكان يؤدي ذلك في أوقات كثيرة لحدوث صدامات وتعدي بالأيدي أحياناً من قبل البعض علينا.

من يعوق شباب الإخوان عن المراجعة، ومن يدفع بهم لهاوية العنف؟

القيادات، التي ترى قوة التنظيم في أنه يضم أعضاء كثر، فلا يريدون لهم أن ينفضوا من حولهم، وفي نفس الوقت، لا يريدون إجراء مراجعات، لعدم اقتناعهم بها ولأنها ستتسبب في محاسبتهم هم؛ فيقومون بتشويه من يقوم بالمراجعات، ويقفون ضدها بكل السبل، حتى أنّ أحد القيادات الكبيرة في الإخوان قال لي: «لدي شباب يريدون أن يخرجوا ويتزوجوا، ويتطلعوا إلى مستقبلهم، فلن نترك من يأتي ليقول لهم «أنا سأخرجكم من السجن»».

حدثتنا عن الحالة المعنوية لقيادات الإخوان في السجون، هل هم متماسكون أم يتظاهرون بالتماسك؟

فكرة واحدة هي التي تسيطر على العقول، سواء القيادات أم الأفراد، وهي التي تجعلهم يصبرون على هذا الوضع، وتتمثل باعتقادهم أنّ الوضع الحالي لن يستمر كثيراً، وأنّ النظام القائم سوف يسقط في أقرب وقت، وأنّ هذه الأحكام لن تنفذ، وأنّ نصر الله سيأتي لأنهم يدافعون عن الدين، وحين يأتي أحد ويحدثهم بالمنطق بعيدًا عن الأوهام، يرفضون ذلك لأن البديل صعب للغاية.

من أين يأتي شعور الجماعة بالاستعلاء على المجتمع ومحاولة السيطرة عليه؟

يتولد هذا الشعور نتيجة للصورة الذهنية الخاطئة للإخوان عن أنفسهم، من أنهم هم من يمثلون الفهم الصحيح للدين، وأنهم هم الفئة المؤمنة المخاطبة في النصوص الدينية، ويأتي ذلك نتيجة كلام البنا في وصفه للإخوان في مواضع كثيرة، مثلما قال في رسالة «الإخوان تحت راية القرآن» : «نحن أيها الناس أصحاب رسول الله ولا فخر، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظو قرآنه كما حفظوه، والمشروع بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين».

أيضـاً، يـأتي ذلـك نتيجـة فهـم خاطـئ لمفهـوم التمكـين الـذي يـرى الإخـوان أنـه يتحقـق بوصولهـم للحكـم، بينمـا المقصـود بـه: تمكـين للأمـة بـأن تكـون أمـة قويـة ذات حضـارة، وهـذا مـن نتائـج الخلـط بـين الجماعـة وبـين الديـن.

محمد حبيب:
مراجعات الإخوان خادعة تفتقر لمنهج نقدي حقيقي

حاوره: سامح اسماعيل
كاتب مصري

قال النائب السابق للمرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، الدكتور محمد حبيب، إنّ التنظيم مايزال موجوداً بأفكاره، لكنّه تلقى ضربة قاصمة بوصوله إلى الحكم، مؤكداً في حواره مع «حفريات» أنّ خطاب المظلومية ما يزال يسيطر على البنية الذهنية لعناصر الجماعة، في ظلّ عدم القدرة على القيام بمراجعات نقديّة حقيقيّة، وأوضح أنّ الهدف الحقيقي من أيّ حديث حول مراجعات تجرى الآن، هو «الرغبة في الإفلات من السجن؛ لأنّ الجماعة لم تطرح بعد، تجربتها السياسية الفاشلة للنقد الداخلي، وهو ما ينبئ بنهايتها تنظيمياً»

وأضاف عضو مجلس الشعب المصري السابق أنّ مفهوم المحنة ما يزال يهمين على عقلية الجماعة، باعتباره شرطاً من شروط اختبار الصلابة، والانطلاق نحو استكمال المسيرة من جديد، و»المحن المتتالية جاءت بسبب الإصرار على السرّية التي كانت عبئاً على التنظيم دون داعٍ؛ لأن الجماعة كانت مخترقة والأمن كان يعرف أدقّ التفاصيل عن أنشطتها».

رفضت دعوة للمشاركة في مراجعات الإخوان في السجون لأنني أفهم جيداً أنّها غير حقيقية

ويعـدّ الدكتـور محمـد حبيـب أحـد أبـرز القيـادات الإخوانيّـة؛ حيـث شـغل أسـتاذ الجيولوجيـا في جامعـة أسـيوط، منصـب النائـب الأول للمرشـد العـام لجماعـة الإخـوان المسـلمين، كمـا انتُخـب حبيـب عضـواً بمجلـس الشـعب المـصري، في الفـترة بـين عامَـي ١٩٨٧ و١٩٩٠.

وكان حبيـب، ذو الـ ٧٦ عامـاً، قـد اختـير عضـواً بمكتـب الإرشـاد بجماعـة الإخـوان المسـلمين منـذ عـام ١٩٩٥، وهـو العـام نفسـه الـذي أُحيـل فيـه إلى نيابـة أمـن الدولـة العليـا، بتهمـة الانتمـاء لجماعـة محظـورة، وحكـم عليـه في القضيـة رقـم ٨ لسـنة ٩٥ عسـكرية عليـا، بالحبـس خمسـة أعـوام، وعـام ٢٠٠١؛ تعـرَّض للحبـس الاحتياطي لمـدة عـام وثلاثـة أشـهر، في كانـون الأول (ديسـمبر) مـن العـام ٢٠٠٩؛ تقـدّم حبيـب باسـتقالته مـن جميـع مواقعـه التنظيميـة داخـل الجماعـة، عـلى خلفيـة الأزمـة الـتي نشـبت عقـب تصريحـه بوجـود مخالفـات في إجـراءات اختيـار المرشـد الثامـن للإخـوان المسـلمين، محمـد بديـع.

هنا نصّ الحوار:

ما بعد الإخوان

يجـري حاليـاً اسـتخدام مصطلـح «مـا بعـد الإخـوان المسـلمين»

في المجـال التـداولي للمشـهد السـياسي عـلى نطـاق واسـع؛ فهـل انتهـت الجماعــة فعــلاً؟

عـلى المسـتوى النظـري، لا؛ فالتنظيـم مـا يـزال حـاضراً في كلّ محافظـات ومـدن وقـرى ونجـوع مـصر، في الصعيـد والوجـه البحـري، لكنّـه بالطبـع تلقـى مـن الناحيـة التنظيميـة ضربـة قاصمـة، أعتقـد أنّـه لـن يـبرأ منهـا، التنظيم سـقط في كلّ تناقضاتـه السياسـية، قبـل السـقوط في الشـارع، وقبـل الملاحقـات الأمنية، ليدخـل نفقـاً مظلمـاً لا نهايـة لـه.

ولكـن مـا مغـزى هـذا الحضـور في ظـل تحلّـل التراتبيـة الهرميـة، الـتي كانـت شـديدة التماسـك قبيـل الصعـود السـياسي إبـان ثـورة ينايـر؟

الأمـر الآن يختلـف، الصعـود السـياسي للإخـوان المسـلمين، دفـع كتلـة كبـيرة مـن المتحفظـين والمتعاطفـين معهـا عـلى السـواء، إلى الانضمـام لصفوف حـزب الحريـة والعدالـة، وتأييـد الجماعـة والانخـراط في أنشـطتها، وهـو مـا منحهـا في البدايـة دفعـة كبـيرة، تضاءلـت تدريجيّـاً، ومـع السـقوط الـذي أعقـب حالـة التخبـط السـياسي، انفصـل هـؤلاء مـرة أخـرى، وابتعـدوا تنظيميّـاً.

لكن، ماذا عن الكتلة الفاعلة تنظيميّاً داخل الإخوان المسلمين؟

موجـودة، لكـن اعتراهـا بعـض التغيـير، نظـراً لطبيعـة الظـرف السـياسي،

هـم مثـلاً أصبحـوا حليقـي اللّحـى، ويقيمـون اجتماعاتهـم بشـكل شـديد السريـة، وبصـورة غـير نمطيـة، وغـير منتظمـة، في محاولـة لقطـع أيّ سـبيل للمراقبـة والاعتقـال، يمكنـني القـول إنّ جسـد التنظيـم مـا يـزال موجـوداً، لكنّـه لـم يتحلـل رغـم توقـف القلـب عـن ضـخّ الدمـاء.

أعتقـد أنّ هـذه الكتلـة سـوف تتحـين الفرصـة، لإعـادة بعـث الجماعـة مـرة أخـرى، مـع أيّ تغـير في الموقـف السـياسي الراهـن، لكنّهـا، كمـا قلـت، تعمـل في جـزر منعزلـة، وتفتقـد لأيّـة خطـط واقعيّـة، أو إسـتراتيجيّة عمليّـة.

حقيقة المراجعات

يـدور الحديـث الآن عـن وجـود مراجعـات بـين القيـادات السـجينة تدعـو إلى نبـذ العنـف، والتـبرّؤ مـن الممارسـات السـابقة؛ فمـا رأيـك في طبيعـة هـذا المراجعـات؟

لا أعـرف طبيعـة هـذه المراجعـات، ولا أصدقهـا، لكنّـني استشـهد بمصطفـى مشـهور، فيمـا يتعلـق بتجربـة السـجن؛ حيـث كان يشـبّه السـجون بقمائـن الطـوب، والسـجناء بالقوالـب الـتي تتعـرض لشـدة تشـبه الحـرارة العاليـة، وإثرهـا يتحـول البعـض إلى طـوب أزرق يفقـد تماسـكه، والبعـض يحـترق دون أن يفقـد صلابتـه، والبعـض الآخـر يتفتـت كليّـاً أو جزئيّـاً.

أي إنّ تجربـة السـجن تتفـاوت، وحالـة السـجين ومناقشـاته مـع رفاقـه

هـي الـتي تحـدّد مـدى قدرتـه واسـتعداده للتحـول الفكـري؛ فالبـشر يختلفـون في درجـات الفهـم والوعـي والإدراك، ونوعيّـة الاسـتيعاب والقـدرة عـلى التحمـل، في عهـد السـادات قابلـت في سـجن «طـرة» كلّ أنـواع البـشر؛ مـن التكفـيري الـذي يحلـل قتـل كلّ النـاس، إلى الرحيـم الـذي يحـرّم قتـل البعـوض، ومنـذ عامَـين؛ طُلبـت مـني المسـاهمة في تلـك المراجعـات، لكـنّي رفضـت.

ولمـاذا رفضـت؟ أليسـت هـذه مصـادرة مسـبقة عـلى مـدى قـدرة الآخريـن عـلى انتهـاج عقليـة نقديـة، تمنحهـم القـدرة عـلى التحـول الفكـري؟

لأنّـني أفهـم أنّهـا مراجعـات غـير فعّالـة، لـم تؤسَّـس عـلى منهـج نقـدي حقيقـي، والغـرض منهـا هـو الخـروج مـن السـجن لمواصلـة العمـل التنظيمـي الـسري، فهـي نـوع مـن أنـواع التقيّـة، تحـت وطـأة محنـة السـجن، وأسـتطيع أن أقـول إنّ المراجعـات الحاليـة يشـوبها نـوع مـن المـرارة، والرغبـة في الانتقـام.

سـابقاً أقـدم أعضـاء الجماعـة الإسـلامية عـلى هـذا النـوع مـن المراجعـات، واسـتمروا في ذلـك النهـج بعـد الخـروج مـن السـجن، فمـا هـي أوجـه الاختـلاف مـع تجربـة الإخـوان المحتملـة؟

الوضـع مختلـف، الجماعـة الإسـلامية لـم تصـل إلى السـلطة، ولـم تسـتهلكها شـعارات العـودة، وخطـاب المظلوميـة، ولـم تجـد دعمـاً خارجيـاً،

طبيعة النشأة تختلف، وحتى الممارسات والتطلعات تختلف تماماً، ورغم ذلك تحالف عدد من هؤلاء مع الإخوان عقب ثورة يناير، ولعبوا دوراً في تأجيج خطاب الكراهية والعنف، أمثال عاصم عبد الماجد وعبود الزمر.

العلاقة مع الجماعة الإسلامية

بمناسبة الجماعة الإسلامية؛ كيف كانت طبيعة العلاقة بينها وبين الإخوان المسلمين، في ظلّ وجود تواصل قوي، وقنوات اتصال ممثلة في أسامة حافظ وكرم زهدي، وعدد آخر من شبابها؟

الجماعة الإسلامية نشأت في منتصف السبعينيات في الإسكندرية والقاهرة وأسيوط، في البداية ظهرت كجماعة دينية، تعمل ضمن اللجان الثقافية بالجامعات، وكان يشرف عليها الأساتذة، وكنا في الإخوان على اتصال بعدد من كوادرها، مثل: ناجح إبراهيم، وكرم زهدي، وأسامة حافظ، وعاصم عبد الماجد، وغيرهم، بل وأدخلنا شباب الإخوان إليها، مع الحرص على عدم ضم شبابها إلى الإخوان، حتى لا نمنح الأمن فرصة للتضييق علينا.

كنت اجتمع بهم كلّ أسبوع ضمن حديث الثلاثاء، الذي استمر على نهج المرشد الأول حسن البنا، وبصحبتي عمر التلمساني وغيره من القيادات، لكن مع ظهور ميل الجماعة إلى العنف، وفي أعقاب التوترات التي جرت في الجامعة، والمصادمات مع الأمن في أسيوط، قررنا قطع الصلة معهم.

هل جاء قرار قطع الصلة مع الجماعة الإسلامية خشية التورط في صدام مع الدولة، أم جاء بناءً على اختلاف في الأيديولوجيا؟

حاولت، أنا ومصطفى مشهور، مناقشة كرم زهدي؛ لإثناء الجماعة الإسلامية عن انتهاج العنف، ولما فشلنا قررنا الابتعاد تماماً عنهم، مع حظر أيّ عضو في الإخوان، في حال اكتشفنا استمراره ضمن صفوفهم، وفقاً لتعليمات واضحة من المستشار المأمون الهضيبي، كان النهج يختلف تماماً بيننا وبينهم، خاصة في ظلّ تواصل المصادمات التي تسببوا فيها داخل الجامعة.

لكن في العام ٢٠٠٧؛ قام طلاب جماعة الإخوان في جامعة الأزهر بعرض شبه عسكري، ألا يمثّل ذلك دليلاً على وحدة النهج مع الجماعة الإسلامية؟

أتذكّر جيداً هذه الحادثة، كانت هناك اشتباكات في جامعة عين شمس بين الأمن وطلاب الإخوان، وتواترت أنباء عن نية الأمن اعتقال عدد من طلاب الإخوان في المدينة الجامعية بالأزهر.

في هذا الوقت كان خيرت الشاطر هو مسؤول القاهرة في الجماعة، واتخذ قراراً فرديّاً بتكليف طلاب الإخوان بعمل استعراض قتالي داخل جامعة الأزهر، على غرار ما كانت تفعله جماعة حماس في غزة، لإثناء الأمن عن اقتحام المدينة الجامعية، كانت حادثة تعكس مدى غرور الشاطر،

> **خيرت الشاطر كان يأخذ قرارات خطيرة دون الرجوع إلينا بل إلى محمود عزت وطليعة القطبيين**

ونزوعه إلى التهور والعنف، كان الشاطر يأخذ قرارات خطيرة دون الرجوع إلينا، فقط كان يرجع إلى محمود عزت وطليعة القطبيين، مثل: محمد بديع، ومحمد مرسي.

مغالبة لا مشاركة

هل عبّرت عن موقفك الرافض لهذا الإجراء صراحة رغم موقعك القيادي؟

نعم، وكنت في غاية الضيق، وصرحت علانيّة بأنني أرفض هذا العمل، لكنّ المرشد العام آنذاك، محمد مهدي عاكف، أصرّ على تمريره، وتضامن مع خيرت الشاطر.

كنت صاحب مقولة «مشاركة لا مغالبة»، التي لم يؤخذ بها؛ كيف حدث هذا التحوّل الإستراتيجي، رغم وجود هذا المبدأ المُعلن من قبل؟

مع صعود خيرت الشاطر ومحمود عزت، حدث اختلاف كبير في

الأصول والقواعد الإستراتيجية، العام ٢٠٠٩؛ التقيت بمسؤول كبير، بناءً على رغبته، واصطحبت معي محمد مرسي، بناء على رغبة مكتب الإرشاد، رغم تواضعه سياسيّاً، في هذا الاجتماع أكدت أنّ استمرار مبارك في الحكم لا يمثل مشكلة بالنسبة إليّ، فقط طلبت رفع قانون الطوارئ، ومنح الإخوان الفرصة للتحرك بشكل سهل، دون وضع عوائق وسط الشعب، والدعوة لمكارم الأخلاق، وممارسة أعمال المساعدات الإنسانيّة، وأكدت أنّ الجماعة لا تطمع في أيّة حقائب وزارية.

كان هذا فهمي لطبيعة الجماعة، بعد انتخابات العام ٢٠١٠؛ هاتفني محمد بديع، وأكّدتُ له على ضرورة محافظة الجماعة على مبدأ مشاركة لا مغالبة، وقتها أبدى اتفاقاً معي، لكنّني تفاجأت بعد ثورة يناير بهذا التحول الخطير؛ حيث انتهج الإخوان سياسة «المغالبة لا المشاركة»، في ظلّ تطلّع خيرت الشاطر لمنصب الرئاسة، وسيطرة القطبيين على الجماعة، وقتها قلت: «هذه نهاية الجماعة»، لأنّها أصبحت سلطة سياسية، منفصلة عن جماهيرها.

كيف يمكن استشراف مآلات التنظيم في ظلّ المحنة الثالثة، التي تبدو سياقاتها مختلفة عما سبقها؟

مفهوم المحنة ما يزال يهمين على عقلية الجماعة، باعتباره شرطاً من شروط اختبار الصلابة، والانطلاق نحو استكمال المسيرة من جديد، والمحن المتتالية جاءت بسبب الإصرار على السرّية.

كنت أختلف كثيراً مع مبدأ علانية الدعوة وسرية التنظيم، الذي انتهجه مكتب الإرشاد، وجهة نظري كانت تتلخص في ضرورة الشفافية، حتى تتجنب الجماعة ملاحقة الأمن، وفي حقيقة الأمر، كانت السرية عبئاً على التنظيم دون داع، فالجماعة كانت مخترقة، والأمن كان يعرف أدقّ التفاصيل عن أنشطتها، فقط ورطنا مبدأ السرية في انتهاج الكذب، وعرضنا للاعتقال، كنت عضواً في التنظيم الدولي، ونائباً عن المستشار الهضيبي للشؤون السياسية، كنت أجتمع مع دوائر الإخوان في ٨٦ دولة، كنا نجتمع في لندن وإسطنبول وميونخ وفرانكفورت، وكان يسمح لنا بالحركة الكاملة.

اكتشفنا فيما بعد أنّ الاجتماعات كانت مرصودة أمنيّاً، لكنّ عقلية المهيمنين على الجماعة آنذاك، خصوصاً الشاطر وعزت، كانت تصرّ على السرية، رغم عدم جدواها، مثلاً كنت رئيساً للجنة المالية، ومسؤولاً عن تخصيص الموارد مع رشاد بيومي، ومع ذلك كان محمود عزت يخفي عني الأرقام الحقيقية، هذه العقلية لم تتغير، بالتالي؛ ليس هناك أيّ أمل في عودة الجماعة مرة أخرى.

هاني نسيرة:
الجماعة لم تستطع أن تتحمل حتي مراجعات بعض أفرادها

حاوره: صلاح الدين حسن
كاتب مصري

قال الكاتب والخبير السياسي المصري، الدكتور هاني نسيرة إنّ إشكالية جماعات الإسلام السياسي تتمثل في النشأة الأولى لهذه الحركات، «التي لم يتوفر لها تأسيس رصين منذ تأسيسها، فضلاً عن سمات المراوغة التي تميزت بها منذ البدايات».

وأضاف في حواره مع «حفريات» أنّ داخلها صقوراً وحمائم، ومعتدلين ومتشددين، «ثم نرى التجربة تحرف بالمعتدلين في اتجاهات التطرف، ثم تحرف بخطاب الجماعة ككل نحو التطرف».

مؤكداً أنّ كلّ الأطروحات الجدية والجديدة والمعتدلة كانت على هامش جماعة الإخوان المسلمين التي لم تستطع أن تتحمل حتى مراجعات بعض أفرادها لذا كثرت فيها الانشقاقات.

وشدد نسيرة أنّنا نحتاج إلى مراجعة مسار ومحاولة وضع ملامح، لـ«مستقبل تائه بلا معالم»، وأن نعطي مساحة لمعقولية الاحترام وحقّ الاختلاف وواجب الاعتراف وفقه التعددية، «وهذا لا يقع على عاتق الحكومات فقط؛ بل التيارات المدنية العربية»، بإعادة اكتشاف ما أسماه نهضة ثالثة عربية، نجيب عن أسئلة: كيف لا ننجح؟ ولماذا لم ننجح؟ وكيف ننجح مستقبلاً؟

وهم الاندماج

هناك من يرى أنّ انخراط تيارات الإسلام السياسي في المعترك السياسي كفيل بتغييرها وتقبلها تدريجياً لأفكار الدولة المدنية، ما رأيك بهذا الكلام؟

نحن أمام إشكالات النشأة الأولى لهذه الجماعات، التي لم يتوفر لها تأسيس رصين منذ تأسيسها، فضلاً عن سمات المراوغة التي تميزت بها منذ البدايات.

فجماعة الإخوان، التي لديها فقر نظري، ظلت تاريخياً مخلصة لأدبيات المؤسس، حسن البنا، الذي احتوى كلّ شيء، وشمل كلّ شيء، وهو المرجع الوحيد والأساس، والرئيس لكلّ شيء، وأيضاً سيد قطب بدرجة ما، وهو الذي يتم استدعاؤه الآن لدى جناح داخل الجماعة أكثر من المؤسس نفسه.

فهي لكونها جماعة دينية، وفي الوقت نفسه، جماعة سياسية، لن تتطور مع التاريخ، وهي تتصور السلطة مطيّة أو غنيمة، للتسلط دون مشروع متطور ومتكامل ومرن، ودون مساحة لاستيعاب النقد، وتقدير الاختلاف، كما حدث في تجربتهم في عام حكمهم لمصر.

هذا يؤدي إلى أنّهم يستلهمون، لاشعورياً، كلّ التناقضات الموجودة داخل جماعتهم، وكما كان عند حسن البنا نفسه، يؤكد على أنّ هدفه

> **نحن أمام إشكالات النشأة الأولى لهذه الجماعات، التي لم يتوفر لها تأسيس رصين منذ تأسيسها**

القضاء على الحزبية، في نفس الوقت يقبل التعاون مع الأحزاب، وتحديداً الأحزاب القريبة من السلطة، وفي الوقت نفسه الذي يقولون فيه إنّنا لا نكفّر، كان لديهم أفراد يكفّرون، وأحياناً تكفيريون عينياً، أو أفراد يستحلون الدماء كما كانت عمليات التنظيم الخاص في الأربعينيات.

إشكالية هذه الجماعة، أنّها تصورت أنّ الاتساع يحتوي ويجمع لها قواعد عريضة، لكنّ هذا الاتساع ذاته خلق التناقضات داخلها أيضاً.

نرى هناك داخلها صقوراً وحمائم، ومعتدلين ومتشددين، ثم نرى التجربة تحرف بالمعتدلين في اتجاهات التطرف، ثم تحرف بخطاب الجماعة ككل نحو التطرف، وبدأنا نسمع منهم عن الطائفة الممتنعة، ودفع الصائل، والولاء والبراء.

ثم إنّ هذه الجماعة لا تفكر في موقفها من عمليات العنف، ولا تفكر في أن العنف عنف، هي تفكر في كيفية الاستفادة من هذه العمليات في نقد النظام، في تبرير العنف نفسه، في عدم تحميل جماعات العنف المسؤولية، كأنّها تحوّر وتوظف كل شيء لغاياتها هي فقط وأيديولوجيتها بلا مرونة.

هـذه المرونـة تتضـح في عـدم قـدرة هـذه الجماعـة عـلى الاعتـذار؛ فهـي لا تسـتفيد مـن دروس التاريـخ، وقـد قالهـا حسـن الهضيـبي، العـام ١٩٥٤: «الإخـوان لا يعتـذرون»، وحـتى هـذه اللحظـة يعـاني معهـم المجتمـع العـربي والمسـلم، هـذه الـروح الاسـتعلائية.

كما أنّ تلك الجماعـة ليسـت لديهـا قـدرة عـلى المراجعـة، لأنّ المراجعـة أيضـاً تحتـاج مرونـة فكريـة، وهـذه الصفـة معدومـة لـدى هـذه الجماعـة.

قيـادات جماعـة الإخـوان قيـادات تنظيميـة وليسـت فكريـة، فقياداتهـم تنظـم نفسـها مـن أجـل غايـة مـع فقـر نظـري، كمـا أنّ كلّ مرشـدي الإخـوان ليسـت لهـم علاقـة بالعلـم الشرعـي.

أحقية الرفض

طالمـا أنّ جماعـة الإخـوان ليسـت لديهـا خاصيـة المراجعـة، ألا تـرى أنّ الدولـة والمجتمـع مـن حقهـم رفـض عودتهـا مسـتقبلاً في الحيـاة السياسـية؟

أنـا لا أحـبّ المصـادرة عـلى التاريـخ؛ فالتاريـخ يظـل دومـاً مضمـاراً مفتوحـاً، قـد تكـون هنـاك مراجعـات، ومدونـات مراجعـات، لكـن قـد تكـون هنـاك مراجعـات عـلى المراجعـات، ولدينـا الحالـة الليبيـة نموذجـاً.

الإخوان يستلهمون لاشعورياً كلّ التناقضات الموجودة داخل جماعتهم

قد تكون هناك مراجعات صادقة، ويتم فيها تطوير الاتجاه السياسي، وهذا حدث في التجربة المغربية؛ فهي بدأت عنيفة وانتهت سياسية، وهناك تطورات مهمة حدثت في مسار النهضة، من الاتجاه الإسلامي للنهضة، ثم تجربة الحكم، ثم الانسحاب، ...إلخ.

إشكالية جماعة الإخوان الأم في مصر؛ أنّ من يقودها دوماً هم الصقور المحافظون، كما أنها تتبني الغاية التي تبرر الوسيلة، فالوسيلة قد تتنوع لكن الغاية واحدة.

وهذه الجماعة لم تستطع أن تتحمل حتى مراجعات بعض أفرادها، ولذا كثرت فيها الانشقاقات بشكل لافت، هي لا تتحمل النقد؛ لأنّ القيادة في الغالب محافظة وتقليدية وعنيفة على المستوى الرمزي أو الخطابي.

أما عن موقف الدولة من قبول مراجعاتها من عدمه، فتظل مسألة مفتوحة، تعود إلى الدولة ذاتها، وتقديراتها الأمنية والسياسية والإستراتيجية.

أما عن الجماعة الإسلامية في مصر؛ فقد قام التيار الأعرض فيها بمراجعات حقيقية، لكن بعض أصحاب هذه المراجعات، ومن وقعوا

عليهـا، تراجعـوا عـن مراجعاتهـم، كذلـك يمكـن التحـدث عـن عنـاصر في تنظيمـات الجهـاد.

وقبولنـا لتلـك المراجعـات مـن عدمـه أيضـاً مـتروك للحظـة نفسـها، ولآفاقهـا، فكثـيرون قـد يتعلمـون الـدرس وقـد لا يتعلمـون، هـذه مسـألة مفتوحـة، لكـن حسـمي هنـا أعتقـد أنـه لـن يكـون علميـاً، والمصـادرة عـلى قـرار مـا في لحظـة تاريخيـة لـم نرهـا بعـد، هـي مصـادرة وسـبق، وكلمـة «لا بـدّ»، هـذه سـتكون كلمـة خطابيـة تشـبه كلمـات الإخـوان أنفسـهم، الذيـن لا يسـتطيعون المراجعـة ولا المرونـة وفعلهـا في التاريـخ.

لكـن، لا شـكّ، في أنّ الوعـي التاريخـي مطلـوب للجميـع، للإخـوان وخصومهـم في ذات الوقـت، فنحـن مطالبـون أن نكـون واعـين باللحظـة، ونتمـرن في التاريـخ ونتـدرب فيـه.

مراجعات جبرية

مـاذا بالنسـبة إلى نجـاح تجربـة الدولـة المصريـة مـع الجماعـة الإسـلامية، عندمـا تمكنـت مـن تحجيمهـا والأخـذ بيديهـا لمـآلات المراجعـة؟

تجربـة الجماعـة الإسـلامية لا يمكـن إهمالهـا؛ فقـد كانـت أكـبر جماعـة جهاديـة مسـلحة عرفتهـا مـصر، وربمـا الـشرق الأوسـط، كجماعـة عنيفـة مسـلحة.

مشكلة الجماعة عدم القدرة على الاعتذار فهي لا تستفيد من دروس التاريخ

الآن، ثمة أصوات كثيرة تراهن على مراجعات الإخوان، سواء داخل السجون، أو في المهجر، نتيجة سقوط الوعود.

كثير من الأيديولوجيات تغيرت وتطورت مع سقوط الوعود، فالتجربة أثبتت أن فشل الوعود التي كانت تحملها التجربة، يؤدي إلى تحولات ضخمة في الأيديولوجيا والمشروع، وهذا حدث طوال التجربة العربية في الخمسينيات والستينيات، فالناصريون، اليوم، ليسوا هم الناصريين بالأمس، الذين كانوا يؤمنون بالوحدة الاندماجية، فلم يحرروا فلسطين ولم يقيموا الدولة الوحدوية.

فعندما تسقط الوعود تحاكم التجربة، والمحاكمة هي المراجعة، فهذا وارد، لا شكّ، حتى على مستوى الأفراد، وهذا ما يبرز في السياق المصري والفضاء العربي.

فإذا كان ثمة رهان من جانب الدولة المصرية على تكرار التجربة نفسها، شريطة أن تكون بالكفاءات نفسها، والمقدرة الفكرية نفسها، التي كانت لدي شخصية أمنية، مثل اللواء رأفت، الذي قاد عملية المراجعات في الجماعة الإسلامية، أعتقد أن هذا سيكون شيئاً مهماً وإيجابياً.

ونحن أيضاً لدينا رهان، يدفع إلى ذلك، وهي الأزمات الداخلية التي تضرب جماعة الإخوان، والخلافات الحادة على مستوى التنظيم، وعلى مستوى الرؤية، والصراع الجيلي بين الشباب والقيادات وبين الشباب وبعضهم البعض.

هناك أشياء كثيرة يمكن توظيفها في الرهان على إنهاء الشكل التقليدي لجماعة توفيقية وبراجماتية، قد تميل إلى العنف العملي وتبرره وتمارس العنف النظري والمعنوي، وتتخلى عن قداسة ذاتها، وربما نتكلم عن جماعة غير جماعة المسلمين يوماً ما، في رأيي؛ إنّها جماعة تحتضر، ولم يعد لديها من شرايين الحياة الكثيرة، الوعود التي حملتها التجربة سقطت، التجربة أخسرتها كثير من التعاطف والقبول.

انتهاء عصر المظلوميات

لكن هذه الجماعة ماتزال تراهن على المظلومية للدفع بالدماء مجدداً في شرايينها، دون أن تضطر للاعتذار والمراجعة؟

لم تعد مقولة المظلومية التي تتعلق بها الجماعة، وترتفع بها وتركب سلمها بنفس القبول السابق، نحن أمامنا فرصة كبيرة، وأيضاً أمام جماعة الإخوان المسلمين مسؤولية في أن تضع نفسها أمام المرآة، حتى لو كانت ترفض كثيراً من الواقع، فهي مسؤولة عن جزء كبير من صناعته، آن الأوان أن تتخلى هذه الجماعة عن تقديس ذاتها ورؤاها، وعن صلابة نظرها وفعلها، للتحرك في التاريخ.

إشكالية جماعة الإخوان الأم في مصر أنّ من يقودها دوماً هم الصقور المحافظون

كـم مـن جماعـات في التاريـخ طـال عمرهـا قرونـاً أكـثر مـن الإخـوان وانتهـت، فالخـوارج لـم يبـق منهـم سـوى معتدليهـم، ودورات حيـاة الجماعات قـد تمتـد قرونـاً وتتنهـي، فمـن يسـمع الآن عـن الحشاشـين الـتي ظلـت قرنـاً ونصـف القـرن، مـن يسـمع الآن عـن النجـدات أو الأزارقـة.

هـل مراجعـة تلـك الجماعـات لأفكارهـا يـأتي لأنّ الأفـكار باتـت عرضـة للتغيـير فعـلاً، أم أنّ تكـسّر الأهـداف عـلى صخـرة الواقـع، هـو الـذي يدفعهـا لذلـك؟

جماعـة الإخـوان، بمـا أنهـا الجماعـة الأم الأطـول نفسـاً وتاريخـاً في جماعـات الإسـلام السـياسي والجهـادي، تعـاني مـن الإشـكال البنيـوي نفسـه الـذي عانـت منـه الجماعـات الـتي انقرضـت واندثـرت وتراجعـت، ألا وهـو هشاشـة التأسـيس.

البنّـا كان خطيبـاً صاحـب شـعار، لـم يـأتِ بأيّـة مقولـة فكريـة جديـدة، وكلّ مـا أتى بـه في رسـالة التعاليـم هـو منقـول عـن مقـولات رشـيد رضـا، وكثـير ممـا قالـه كان ينقلـه ويقتطفـه، مـن مصـادر متنوعـة.

الرجل كان مؤمناً بنظرية التلقي: كيف يجمع العوام حوله، كيف يحدث ما يحدثه شيخ الطريقة الحصافية في جماهيرية، فهذه الجماعة متى يمكن الانشقاق عليها؟

لاحظنا أنّ أوّل انشقاق عقلي وفكري في الإخوان كان مبكراً، وكان بعد أزمة العام ١٩٥٤، وهذا الانشقاق تزعمه عقلاء الجماعة وكبار نجومها، من أحمد حسن الباقوري وسيد سابق ومحمد الغزالي، ومع الوقت؛ فإنّ العقلاء دائماً يغادرون الانغلاق.

الواقع أم الأفكار؟

لو تحدثنا عن الجماعة الإسلامية كنموذج؛ هل ترى أنّ الواقع هو الذي كسرها وليس الإيمان بخطأ الأفكار؟

ليس الواقع وحده، بل الأفكار أيضاً، وأنا أوجه التحية لقيادات الجماعة الإسلامية في أنها بدأت مراجعة هذه المراجعات، ويروى أنّ الشيخ كرم زهدي قال: لو علّمنا رجلاً الفاتحة لكان خيراً لنا، لقد كانت هذه الجماعة على قدر من المسؤولية، حين قبلت الحوار، وراجعت نفسها، وخطأت نفسها، واعتذرت عن أخطائها.

أما قيادات الإخوان فهم، للأسف، حتى الآن، ليسوا بهذا المستوى من الشجاعة؛ لقد تصلّبوا عند مقولة العزل، وعند مقولة المظلومية،

كلّ الأطروحات الجدية والجديدة والمعتدلة كانت على هامش جماعة الإخوان المسلمين

وحاولوا أن يحيوا بها تعاطفاً جديداً لم يأتهم رغم أنّ هذا في التراث السياسي الإسلامي وارد جداً، فلقد عزل نحو ٣٧ خليفة أموي وعباسي ولم تتحرك الأمة، رغم وجود مبررات منطقية لفكرة التمرد والخروج آنذاك.

الإخوان، للأسف، ليست لديهم الشجاعة التي كانت للجماعة الإسلامية، وهم سيظلون يراهنون على الشعار، هذه أزمتهم الكبرى.

أزمة هذه الجماعة أنّها أسيرة الشعار، وهذا ما يناسب التنظيم والقيادات المحافظة على رأس الهرم.

حتى كلّ الأطروحات الجدية والجديدة والمعتدلة كانت على هامش جماعة الإخوان، وليست من داخلها إلا فيما ندر، وظلت الجماعة تطرد كلّ المحاولات لعقلنتها.

في رأيي؛ إنّ قيادات الجماعة الإسلامية كانت أكثر شجاعة من جماعة الإخوان، وما تزال، ولذلك فعندما يتحدث أحد عن خيرت الشاطر، وهو رجل سجين الآن، لا أحبّ أن أتحدث عنه بسوء، لكن أنا أتحدث من زاوية فكرية وموضوعية، هو كان قيادياً تنظيمياً وليس فكرياً، وحين رأيناه يتكلم

لـم نجـده يتكلـم إلا بلغـة قائـد التنظيـم المغـترّ بأتباعـه، لا المفكـر الـذي يـدرك أبعـاد الأمـور، ولا الفقيـه الـذي يـدرك أنّ الفتـوى هـي معرفـة الواجـب في الوقـت، هـذه الجماعـة لديهـا مشـكلة؛ أنّهـا أسـيرة الشـعار مـن بدايتهـا إلى نهايتهـا.

الإخـوان يتخيلـون أنهـم لـو تخلـوا عـن شـعارهم، مثـل عـودة الشرعيـة، أنهـم سـينتهون، هـم أسرى كلمـة قـد لا تكـون صحيحـة، لكـن لا يسـتطيعون أن يقفـزوا القفـزة الـتي صنعهـا صديقهـم أردوغـان في تركيـا، ولا القفـزة الـتي صنعتهـا الإسـلامية المغربيـة، أو الجماعـة المصريـة.

المرجعيـات الحقيقيـة لا تكـون إلا فكريـة تأسيسـية تراجع البنية والوسـيلة والغايـة والأداء والتجربة.

المخرج من الأزمة

نعـود إلى سـؤال الانحطـاط والنهـوض؛ مـا المخـرج مـن أزماتنـا الراهنـة؟

يظـل الطلـب عـلى المـشروع النهضـوي العـربي، العـرب ليسـوا فقـط الجماعـات المتطرفـة، نحتـاج إلى مراجعـة مسـار ومحاولـة وضـع ملامـح، لمسـتقبل تائـه بـلا معالـم، وإعـادة التمكـين لـكلّ مـا رأينـاه حـلاً؛ معقوليـة الاختـلاف، معقوليـة التنـوع، دمقرطـة الإنسـان قبـل المـكان، كمـا كان يقـول

الشيخ زايد، رحمه الله، وهذه من أهم العوامل التي تصدّ العنف والتطرف والميل إليهما، مهم أنّ نشعر كلّ مواطن عربي بمسؤولية حضارية، أن نعطي مساحة لمعقولية الاحترام وحقّ الاختلاف وواجب الاعتراف وفقه التعددية، وهو في نفس الوقت ما نطلبه من المتطرفين، حين ندعوهم إلى التوبة أو المراجعة، أو ندخل معهم في حوار للمناصحة، وهذا لا يقع على عاتق الحكومات فقط؛ بل التيارات المدنية العربية، إعادة اكتشاف ناهضة ثالثة عربية، نحن نحتاج في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين إلى طرح سؤال النهضة الثالثة: كيف لا ننجح؟ ولماذا لم ننجح؟ وكيف ننجح مستقبلاً؟

مختار نوح:
مرسي كان يرغب في إجراء مراجعات قبل وفاته والشاطر رفض

حاوره: سامح فايز
صحفي مصري

قال المحامي والقيادي السابق في جماعة الإخوان المسلمين، مختار نوح: إنّ الرئيس المعزول، الراحل محمد مرسي، كان يرغب في إجراء مراجعات للموقف السياسي للجماعة قبل وفاته، غير أنّ خيرت الشاطر رفض تلك المسألة، وطلبت الجماعة من مرسي عدم الخوض في مسألة المراجعات.

وأضاف نوح: «لا يوجد أمل لعودة الجماعة مرة أخرى للمشهد العام، بعد أن كشفت عن وجهها المتطرف، وسيطرة التنظيم الخاص، ومقاتلة الشعب»، لافتاً إلى أنّ الإخوان عادت في مرات سابقة للحياة بعد حظرها من الأنظمة الحاكمة؛ بسبب رغبة الحكام في استثمار الجماعة، إلا أنّ تلك المسألة غير قابلة للحدوث الآن.

وأشار نوح، في حوار مع «حفريات»، إلى أنّ النظام الخاص يسيطر على الجماعة بالكامل، منذ عام ١٩٩٥، بعد تولّي مصطفى مشهور مكتب الإرشاد، منوهاً إلى أنّ أوّل ما فعله النظام الخاص؛ إقصاء غير المنتمين له من الجماعة بالكامل.

> **كلّ الأطروحات الجدية والجديدة والمعتدلة كانت على هامش جماعة الإخوان المسلمين**

هنا نصّ الحوار:

على مدار تاريخ جماعة الإخوان تمّ حلّها وحظرها أكثر من مرة، وكانت تعود في كلّ مرة أقوى من السابق، تلك المسألة تطرح سؤالاً عن هل هناك إمكانية لعودة الجماعة للمشهد من جديد؟

جماعة الإخوان لا تعود أبداً إلا بعون من السلطة، لا علاقة لها بظروف إلهية، وذلك يكون استثماراً، فالجماعة قابلة للاستثمار، أنا أذكر مرتين لرجوعها، الأولى، كانت أيام السادات، وكان المفترض عقلاً بعد أن قتل السادات، وانتماء خالد الإسلامبولي لجماعة الإخوان مسبقاً، أن يكون هناك حذر في الاستثمار؛ أي أن يكون استثماراً محسوباً، لكن حسني مبارك أجرى الصفقة بطريقة أخرى، طريقة خدعنا فيها جميعاً، حتى أنا خدعت فيها في بداية الأمر، فقد أعلن أنه لن يقابل عمر التلمساني، لكنه سار في أربع خطوات، الخطوة الأولى: ترك ملف التفاوض مع الإخوان للأمن، الخطوة الثانية: التفاوض بالطريق العملي، بمعنى، إذا تعدى الإخوان الحدود المتفق عليها يقاومهم بالقبض الرمزي؛ أي القبض المعلومة نهايته.

الخطوة الثالثة: أن يكون الحوار سياسياً في الدرجة الأولى، لا يشمل الدعوة، ولا سلامة غاية الإخوان، ولا غيرها، فقط سياسي بالدرجة الأولى.

خيرت الشاطر

الخطوة الرابعة: أن يقدم الإخوان له ما يريد.

وبالتالي؛ عادت جماعة الإخوان، مرة أخرى، بقبلة الحياة، لكن في تلك المرة، السلطة لا تستطيع إعطاء الإخوان قبلة الحياة، فالتنظيم السرّي كشف عن وجهه، وأنّه المسيطر على الجماعة، وقاتل، وقَتل، وأعلن الجهاد المسلح، وأصبحت المسألة مستحيلة على عودة الإخوان، ومستحيل على أيّ حاكم أن يتحمّل مسؤولية عودتهم.

استخدام العنف

في جميع المرات التي تمّ فيها حظر الجماعة كان التنظيم السرّي موجوداً، ورغم ذلك عادت الجماعة، فالتنظيم لم يكن غائباً في الحقبة الملكية، ولم يكن غائباً فترة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

استخدام العنف في مواجهة الشعب غير استخدامه في مواجهة اليهود، غير استخدامه في مواجهة أشخاص، مثلاً في حادثة قتل الخازندار نجد الكاتب الصحفي والروائي، إحسان عبد القدوس، في روايته «في بيتنا رجل»، يصوّر الإرهابي على أنّه بطل، فيمحي من ذاكرة الناس أنّ الإرهابي قام بفعل القتل، لكن يجعلهم يعيشون قصة حبّ خالدة مع زبيدة ثروت، فتنسيهم زبيدة قصة رئيس الوزراء الذي قُتل، وعمر الشريف له سحره، هنا نرى كيف تستخدم القصص والأدب والسينما، أنا أعتقد أنه خطأ كبير لإحسان عبد القدوس، وقد أبلغته برأيي هذا، وأبلغت محمد عبد القدوس.

الآن أيضاً: هناك بعض الأعمال في السينما تناولت جماعة الإخوان باعتبارها فصيلاً سياسياً، وأننا جميعاً نعيش في مركب واحد، ونواجه عدوّاً واحداً؛ هل معنى ذلك أنّ خطأ فيلم «في بيتنا رجل» تكرّر؟

الأفكار المرتبطة بزمن سياسي وواضح، وفيها عنصر المجاملة، لا نعتبرها في الفنّ علامة، مثل: فيلم «الهجامة»، للفنانة ليلى علوي، وهشام سليم، وهو فيلم يظهر الثورة ضدّ السادات بصورة سلبية، فانتفاضة الخبز، عام ٧٧، أظهروها بأنّها ثورة حرامية وغير شريفة، علماً بأنّها كانت ثورة حقيقية ومنظمة.

حوار الجماعة مع الغرب

جماعة الإخوان كانت تجري تفاهمات مع جهات أجنبية وسفارات

أوروبيـة، وهـي مسـألة سـاهمت كثـيراً في عودتهـا للمشـهد العـام أكـثر مـن مـرة بدعـم مـن تلـك الجهـات؛ مـا تعقيبـك عـلى هـذه المسـألة؟

وأنـا في السـجن، عرّفـني أحـد الصحفيـين، البارزيـن الآن، عـلى سـعد الديـن إبراهيـم، وكنـت أنـا بالـذات محظـوراً مـن الحديـث مـع أيّ شـخص داخـل السـجن، وكنـت أتعـرّض للحبـس الانفـرادي إذا تحدّثـت مـع أيّ سـجين، لكـنّ سـعد الديـن إبراهيـم تواصـل معـي رغـم ذلـك، وبعـد قليـل مـن الحـوار طلـب تحديـد لقـاءات مـع الإخـوان، وعندمـا علـم الإخـوان بذلـك اكتفـوا بأنـني أوصلتهـم بـه، ثـم اسـتبعدوني مـن جلسـات الحـوار، لكـن بعـد خروجنـا مـن السـجن علمـت أنّ سـعد الديـن إبراهيـم ينظّـم حفـلاً كبـيراً للحـوار بـين الإخـوان والسـفراء الأوروبيـين، وتمّـت دعـوتي للحـوار، لكنّـني رفضـت المشـاركة.

المـرة الثانيـة الـتي عرفـت فيهـا بشـكل مبـاشر أنّ الجماعـة تجـري لقـاءات مـع جهـات أجنبيـة؛ كانـت عندمـا قابلـت زكريـا عزمـي، رئيـس ديـوان رئيـس الجمهوريـة في عهـد حسـني مبـارك، وأخـبرني بـأنّ الإخـوان تخطّـوا الحـدود، ويجـرون اتصـالات بالخـارج، وعندمـا أوصلـت الرسـالة لخـيرت الشـاطر اسـتهتر بهـا، فقـد كان لا يحـب أن يتفاهـم أحـد غـيره مـع النظـام، فرفـض الرسـالة تمامـاً، فتـمّ القبـض بعدهـا عـلى ٢٣ شـخصاً مـن قيـادات الإخـوان.

لكـن في عهـد المرشـد محمـد حامـد أبـو النصر جـاء في وثائـق ويكليكس؛ أنّ السـفارة الأمريكيـة حاولـت مقابلتـه والحـوار معـه، لكنّـه طلـب منهـم

مختار نوح مع المرشد مصطفى مشهور

بشكل مباشر استئذان وزارة الداخلية المصرية والحصول على موافقتها لإجراء أيّ حوار؛ ما سبب تغيّر شكل الحوار في عهد أبو النصر عن عهد مشهور؟

في ظلّ غياب التنظيم الخاص أيام التلمساني وأبو النصر، كان من الممكن طلب استئذان الداخلية، لكن في وجود التنظيم الخاص أصبحت العلاقة مفتوحة مع أمريكا والغرب، وذلك عن طريق حماس، وغياب

التنظيـم الخـاص في تلـك الفـترة كان بسـبب اسـتبعاد المرشـد عمـر التلمسـاني لرجـالات التنظيـم، لذلـك يكـره أعضـاء التنظيـم الخـاص عمـر التلمسـاني جـداً، حـتى أنّهـم لـم يكتبـوا عنـه نهائيـاً ضمـن أدبياتهـم عـن القيـادات الإخوانيـة؛ فالتنظيـم الخـاص بـدأ يتحكـم في التنظيـم بعـد ولايـة محمـد حامـد أبـو النـصر؛ بسـبب صعـود نفـوذ مصطفـى مشـهور، الـذي بـدأ في الاسـتعانة برجـال التنظيـم الخـاص، مثـل: محمـود عـزت، وخـيرت الشـاطر، اللذيـن اسـتبعدهما عمـر التلمسـاني سـابقاً مـن أي دور داخـل الجماعـة، خاصـة بوجـود قضيـة رقـم ١٢٢ لسـنة ١٩٨٣ حينهـا، اسـمها «قضيـة التنظيـم الخـاص»، وعندهـا اجتمـع عمـر التلمسـاني بمجموعـة مـن القانونيـين وكنـت أحدهـم، وعندمـا اجتمعنـا طلـب الاطـلاع عـلى أوراق القضيـة دون أن يعـرف أحـد، واسـتطعت عـام ١٩٩٠ الحصـول عـلى نسـخة مـن القضيـة، واكتشـفت أنـه تـمّ حفظهـا، رغـم أنّ نيابـة أمـن الدولـة لـم تكـن تحفـظ أيّـة قضايـا للإخـوان، وتلـك القضيـة كان المتهـم الأول فيهـا خـيرت الشـاطر، والثـاني محمـود عـزت، ورغـم ذلـك لـم يقبـض عليهمـا!

سيطرة التنظيم الخاص

لمـاذا تغـيرت سياسـة الجماعـة في إجـراء حـوارات مـع جهـات أجنبيـة، بعـد سـيطرة التنظيـم الخـاص عـلى مجريـات الجماعـة؟

التنظيـم الـسري يؤمـن بالميكافيليـة، أو الغايـة تـبرر الوسـيلة، أمـا الإخوان العاديّـون فيرفضـون ذلـك، هـؤلاء الذيـن انضمـوا وقـت عمـر التلمسـاني، وشـكلوا

معـه مكتـب الإرشـاد، وكانـوا يرفضـون التنظيـم الخـاص، والعمـل المسـلّح؛ فالـصراع كان دائـراً بـين الجناحَـين، حـتى اسـتقرت جماعـة الإخـوان عـلى العنـف المسـلّح والتنظيـم الخـاص، عـام ١٩٩٥، التفاهمـات قبـل ذلـك كانـت ضـدّ مبـدأ الغايـة تـبرر الوسـيلة، وكانـت علنيّـة؛ فنجـد أنّ عمـر التلمسـاني يتحـدث مـع السـادات في العلـن، وأنّ السـادات يحـذّره مـن التنظيـم الخـاص في العلـن أيضـاً، فيخـبره التلمسـاني بأنّـه لـن يضـمّ للجماعـة أيّ فـرد مـن التنظيـم الخـاص في العلـن، فـلا توجـد سرّيـة؛ لذلـك هـو مكـروه مـن رجـال التنظيـم الخـاص، لكـن مـع تـولّي مصطفـى مشـهور لمكتـب الإرشـاد، ظهـرت عـلى السـطح مـن جديـد مبـادئ سـيد قطـب، ومبـادئ سريـة التنظيـم وعلنيـة الدعـوة، ومسـألة أننـا نعيـش في مجتمـع جاهـلي تحوّلـت لسـلوك عمـلي، فـلا نخـرج المـال لشـخص جاهـلي؛ بـل نعطيهـا لشـخص مسـلم، ورغـم ذلـك، كانـت تأتيـني، وأنـا في الجماعـة، بعـض القضايـا للتحقيـق فيهـا، وجدتهـا تتضمـن سرقـات وانحرافـات كثـيرة داخـل الإخـوان، وشـكاوى أخلاقيـة كثـيرة، لكـن لا أسـتطيع نـشر تلـك التحقيقـات الآن لأنـي تكتّمـت عليهـا، مسـألة واحـدة فقـط نشرتهـا، كانـت لهـا علاقـة بالتحقيـق مـع محـامٍ شـابّ يعمـل في مكتـبي للمحامـاة.

كان حكـم الجماعـة في المطلـق للتنظيـم الخـاص، وهـم الذيـن ذهبـوا بالجماعـة إلى التسـليح؛ إذا كانـت توجـد رغبـة في تجميـع السـلميين حـول محمـود عـزت؛ فهـو نـوع مـن الاختفـاء مـرة أخـرى حـول الشـعارات المضللـة، إنمـا يحـيى مـوسى، المسـؤول عـن الخليـة النوعيـة الـتي قتلـت النائـب العام هشـام بـركات، مـا كان لـه أن يخـرج عـن طـوع محمـود عـزت قيـد أنملـة.

سيطر التنظيم الخاص على مجريات الجماعة، عام ١٩٩٥، مع تولّي مصطفى مشهور، وفي تلك الفترة تقريباً ظهرت على السطح الجبهة الإسلامية العالمية لمحاربة اليهود والأمريكيين، التي أصبحت تنظيم القاعدة بعد ذلك؛ هل نستطيع أن نقول إنّ هناك علاقة بين سيطرة النظام الخاص ونشأة تنظيم القاعدة؟

كان ملاحظاً أنّ الإخوان في مصر لم يتعاطفوا مع الإخوان الذين ضربوا في أفغانستان، لم يتعاطفوا معهم التعاطف المطلوب، ولم يكن هناك إمداد بالمال أو السلاح، وأعتقد أنّهم عندما وجدوا كفّة نظام القاعدة وأسامة بن لادن هي الراجحة، لم يرغبوا بمعاداتها، فالقضية لم تكن قضية سوفييت، أو دفاع عن الإسلام، لكنّها كانت قضية رجاء أمريكي ويجب تحقيقه، فكان السمع والطاعة الكاملان من مبارك لأمريكا، وبدء تسفير المجاهدين لأفغانستان بشكل منظم.

العمل تحت الأرض

أقصد؛ هل نستطيع أن نقول إنّ هناك علاقة مباشرة بين صعود النظام الخاص وظهور القاعدة على سطح المشهد العام؟

طبعاً، فالأفكار هي هي، والكتب هي هي، على العكس؛ تنظيم القاعدة الآن أكثر اعتدالاً، على عكس داعش، أيمن الظواهري في الماضي أصدر كتاب «الحصاد المرّ»، هاجم من خلاله جماعة الإخوان لدخولهم

ساهمت حماس في انقسام السلطة الفلسطينية

البرلمان، لكن تفكيره في تلك الفترة كان قاصراً، فالعمل تحت الأرض يختلف تماماً عن العمل فوق الأرض، وذلك تمّ بالطبع بعد سيطرة التنظيم الخاص، الذي كان من ضمن أهدافه طرد غير المنتمين له داخل الجماعة، فتجد أنّه بعد سيطرة التنظيم الخاص خرج عبد المنعم أبو الفتوح، وعبد الستار المليجي، ومحمد عبد اللطيف، وأبو العلا ماضي، ومختار نوح، وأكثر من ٨٠ قيادة، وكان أجرأ من خرج في تلك الفترة عبد الستار المليجي؛ الذي كتب كتاباً عن التنظيم الخاص، وقرأناه ونحن ما نزال أعضاء داخل الجماعة، ووصل الرقم لأكثر من ٦٠٠ إخواني، ولا أتحدث هنا عن الآلاف الذين خرجوا من الجماعة بعد أحداث «الربيع العربي»، كانون الثاني (يناير) ٢٠١١.

> **في وجود التنظيم الخاص أصبحت العلاقة مفتوحة مع أمريكا والغرب وذلك عن طريق حركة حماس**

هناك وثائق مسربة من مخابرات أوروبية تشير إلى وجود دعم غير مباشر لجماعة الإخوان في المنطقة العربية؛ ما تعليقك على ذلك؟

إذا دخلت إسرائيل على حماس الآن، ودكّتها تماماً؛ هل سيعقّب أحد على ذلك؟ لن يعقّب أحد، ولا حماس نفسها، ذلك يطرح سؤالاً مهماً؛ لماذا لا تدكّ إسرائيل حماس وتنهي تلك الأزمة نهائياً؟ تلك هي نظرية مبارك والإخوان، فأنا مستفيد منها، حماس هي التي قلبت نظام القوى في فلسطين، وأصبحت هناك دولتان، فيصل الأمر؛ أنني أموّل حماس حتى تعيش، وأضربها من الجانب الآخر عند اللزوم، وأدعم التعاطف مع قضية فلسطين، وذلك يثبتها أكثر على حدود مصر، ويسبب ذلك قلقاً شديداً لمصر، فحماس تبني أنفاقاً تسهّل دخول السلاح إلى مصر.

ثالثاً: ساهمت حماس في انقسام السلطة الفلسطينية.

رابعاً: تعلي من راية عدم النصر؛ فهي سلمية أكثر من السلطة الفلسطينية، وهي التي تقاوم تنظيمات السلفية الجهادية والمتطرفين في غزة، وهي التي توجه بنادقها ناحية مصر لا إسرائيل.

هكذا كانت خطة مبارك في تعامله مع الإخوان؛ فهو يدعم وجود الإخوان؛ لأنّهم مسألة مهمة جداً لتحقيق رغبة أمريكا، أو لمواجهة إيران

عنـد اللـزوم، أو مواجهـة العـراق عنـد اللـزوم الآخـر؛ لذلـك تلاحـظ أنّ إخـوان الكويـت انفصلـوا عـن إخـوان مـصر تمامـاً، بعـد حـرب العـراق؛ لأنّ إخـوان مـصر لـم ينبسـوا ببنـت شـفة عـن حـرب الكويـت، بينمـا مبـارك تحـدّث، فارتفعـت أسـهمه وانخفضـت أسـهم الإخـوان.

لذلـك؛ أريـد التأكيـد عـلى مسـألة الدعـم غـير المبـاشر لجماعـة الإخـوان مـن قبـل بعـض الجهـات، الـتي تجـد في وجـود الإخـوان وبقـاء الجماعـة مصلحـة لهـا.

انتفاضة مرسي

وفـاة محمـد مـرسي ربمـا أعطـت الأمـل للبعـض في أنّـه سـتكون هنـاك إمكانيـة للتفاهـم مـع النظـام، على اعتبـار أنّ الجماعـة كانت ترفـض التفاهم إلا إذا عـاد مـرسي للحكـم؛ هـل تتفـق مـع تلـك الرؤيـة؟

عـلى العكـس؛ مـرسي هـو مـن أراد عمـل مراجعـات في الموقـف السـياسي قبـل وفاتـه، لكـنّ خـيرت الشـاطر رفـض، مـرسي في النهايـة بـدأ مراجعـة نفسـه بصـوت عـالٍ، عـلى غـير عادتـه، وبـدأ بطـرح السـؤال حـول أسـباب الصـدام، وقـال: لمـاذا لـم نقـف عنـد حـدّ معـيّن بعـد أن تـمّ القبـض عـليّ؟ هنـا نكـون نحـن الأبطـال، ونحـن المظلومـين، ونحـن مـن في السـجون، وبـدأ في قـول إنّ المسـألة السياسـية لـم تحسَـب بشـكل صحيـح، وطلـب الإخـوان مـن مـرسي أن يتوقـف عـن قـول ذلـك، وعرفـت مـن مصـادري داخـل الجماعـة تفاصيـل تلـك الأزمـة، وكان واضحـاً أنّ الخـلاف في تلـك المسـألة وصـل إلى قمتـه.